

تفسير البحر المحيط

@ 266 ما قاله وهب ، أو مكارياً ، وضاع حمار له ، أو حمراً لأهله ، فاجتمع بالنبي ليسأله عن ما ضاع له ويدعوا له ، فبينما هو عنده نش ذلك القرن ، وقاسه النبي بالعصا ، فكان طولها ، فقال له : قرب رأسك فقرّبه ودهنه بدهن القدس ، وقال : أمرني الله أن أملكك على بني اسرائيل . فقال طالوت : أنا ؟ قال : نعم . قال : أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني اسرائيل ؟ قال : بلى ، قال : أفما علمت أن بيتي أدنى بيوت بني اسرائيل ؟ قال : بلى . قال : فبآية انك ترجع وقد وجد أبوك حمرة . وكان كذلك . . . وانتصب : ملكاً على الحال : والظاهر أنه ملكه الله عليهم ، وقال مجاهد : معناه أميراً على الجيش . . .

{ قَالُوا أَزَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ } هذا كلام من تعنت وحاد عن أمر الله ، وهي عادة بني اسرائيل ، فكان ينبغي لهم إذ قال لهم النبي عن الله { إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ بِعَاجَتِكُمْ لَكُمُ طَالُوتَ مَلِكًا } أن يسلموا الأمر ، ولا تنكره قلوبهم ، ولا يتعجبوا من ذلك ، ففي المقادير أسرار لا تدرك ، فقالوا : كيف يملك علينا من هو دوننا . ليس من بيت الملك الذي هو سبط يهودا . ومنه داود وسليمان ؟ وليس من بيت النبوة الذي هو سبط لاوي ومنه موسى وهارون ؟ قال ابن السائب : وكان سبط طالوت قد عملوا ذنباً عظيماً ، نكحوا النساء نهاراً على ظهر الطريق ، فغضب الله عليهم ، فنزع النبوة والملك منهم ، وكانوا يسمون سبط الإثم . . .

وفي قولهم : { أَزَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا } إلى آخره ما يدل على أنه مركوز في الطباع أن لا يقدم المفضل على الفاضل ، واستحقاق من كان غير موسع عليه ، فاستبعدوا أن يملك عليهم من هم أحق بالملك منه ، وهو فقير والملك يحتاج إلى أصالة فيه ، إذ يكون أعظم في النفوس ، وإلى غنى يستعبد به الرجال ، ويعينه على مقاصد الملك ، لم يعتبروا السبب الأقوى ، وهو : قضاء الله وقدره : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ تَوْفِي الْمُلْكِ مَن تَشَاءُ } واعتبروا السبب الأضعف ، وهو : النسب والغنى { رَحِيمُ يَاسِيَهُمُ النَّاسُ إِنَّ زَا جَلَدْنَا كُومَ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْزِلْنَا وَجَعَلْنَا كُومَ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } إِنَّ أَكْرَمَكُمْ كُومَ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ { لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى } إِنَّ أَكْرَمَكُمْ كُومَ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ { } وقال الله تعالى { وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّمَّنْ مُّشْرِكٌ }

وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ { قال الشاعر : % (وأعجب شيء إلى عاقل % .

فتوَّ عن المجد مستأخره .

(% (إذا سئلوا ما لهم من علا ؟ % .

أشاروا إلى أعظم ناخره .

. %)

و : أنىَّ - هنا بمعنى : كيف ؟ وهو منصوب على الحال ، و : يكون ، الظاهر أنها ناقصة ،
و : له ، في موضع الخبر ، فيتعلق بمحذوف وهو العامل في : أنى ، و : علينا ، متعلق :
بالملك ، على معنى الاستعلاء ، تقول : فلان ملك على بني فلان ، وقيل : علينا ، حال من :
الملك . .

ويجوز أن تكون تامة و : له ، متعلق ، بـ يكون ، أي : كيف يقع ؟ أو : يحدث له الملك
علينا ونحن أحق ؟ جملة حالية اسمية عطف عليها جملة فعلية ، وهي { لَمْ يُوْتِ * سَعَةً
مِّنَ الْمَالِ } والمعطوف على الحال حال ، والمعنى : أن من اجتمع فيه هذان الوصفان ،
وجود من هو أحق منه ، وفقره ، لا يصلح للملك . ويعلق : بالملك ، و : منه ، بأحق ، وتعلق
: من المال ، بيوت ، وفتحت سين السعة لفتحها في المضارع ، إذ هو محمول عليه ، وقياسها
الكسر ، لأنه كان أصله ، يوسع ، كوثق يثق ، وإنما فتح عين طالمضارع لكون لامه حرف حلق ،
فهذه فتحة أصلها الكسر ، ولذلك حذف الواو ، لوقوعها في يسع بين ياء وكسرة ، لكن فتح
لما ذكرناه ، ولو كان أصلها الفتح لم يجر حذف الواو ، ألا ترى ثبوتها في يوجل ؟ لأنها لم
تقع بين كسرة وياء ، فالمصدر والأمر في الحذف محمولان على المضارع ، كما حملوا : عدة وعد
على يعد . .

{ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَبْدًا بِكُمْ } أي : اختاره صفوة ، إذ هو أعلم تعالى
بالمصالح ، فلا تعترضوا على الله . .

{ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } قيل : في العلم بالحروب ، والظاهر
علم الديانات والشرائع ، وقيل : قد أوحى إليه ونبيه ، وأما البسطة في الجسم فقيل :
أريد بذلك معاني : الخير ، والشجاعة ، وقهر الأعداء ، والظاهر أنه : الامتداد ، والسعة
في الجسم . .

قال ابن عباس : كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل ، وأجمله وأتمه ،